

دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا

كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا

Central Asian and South Caucasian Countries as Alternative Energy Supply Routes amid the Implications of the War in Ukraine

شريفة كلاع*، جامعة الجزائر 3

cherifaklaa@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 2025/09/21 تاريخ قبول المقال: 2025/10/19 تاريخ نشر المقال: 2025/11/29

الملخص:

لقد زادت أهمية منطقة آسيا الوسطى وجنوب القوقاز بشكل كبير على إثر ارتدادات الحرب الروسية - الأوكرانية الواقعة منذ شهر فيفري 2022، للبحث عن طرق بديلة للطاقة نحو أوروبا وضمان الإمدادات الطاقوية واستدامتها، ولذلك تأتي هذه الدراسة لتركز على أهمية دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز في الإمداد الطاقوي نحو أوروبا إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا، وذلك من خلال تبيان امتيازات الجغرافيا السياسية التي تحظى بها دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز والتي زادت من الاهتمام بها مؤخرا إثر الحرب في أوكرانيا الواقعة منذ شهر فيفري 2022، والتي جعلت دول الاتحاد الأوروبي تنتظر لها كمسار بديل لنقل الطاقة والإمداد الطاقوي نحوها بشكل مستدام، حيث تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن امتيازات الجغرافيا السياسية لمنطقة آسيا الوسطى وجنوب القوقاز قد جعلتها مجالا جيوبوليتيكيا مهما فضلا عن كونه منطقة جيواقتصادية ومصدرا للطاقة، من شأنها أن تكون كمسارات بديلة لنقل الطاقة نحو أوروبا، كما أنه لا يمكن استبعاد أن تتحول هذه المنطقة خلال المرحلة القادمة إلى إحدى ساحات الصراع، أو ما يمكن تسميته بالحرب الباردة الجديدة سواء بين روسيا، دول الاتحاد الأوروبي، الصين والولايات المتحدة الأمريكية، أو بين إيران وتركيا وروسيا.

الكلمات المفتاحية: الجغرافيا السياسية؛ آسيا الوسطى؛ جنوب القوقاز؛ إمدادات؛ الطاقة؛ الغرب.

Abstract:

The region of Central Asia and South of Caucasus has increased in importance following the outbreak of the war in Ukraine and the European pursuit of alternative routes to transfer energy to Western Europe and ensure its sustainability. Thus, this study sheds light on the geographical and political aspects of this area that is increasingly seen by Europeans as an alternative supply route, and thus a source of energy and a significant geoeconomic space that might become an area of rivalry and competition between Russia, China, the U.S, European Union, or between Turkey, Iran and Russia.

Key words: Geopolitics; Central Asia; South Caucasus; System; Energy; West.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

المقدمة:

سعيًا لضمان الإمدادات الطاقوية على إثر ارتدادات الحرب الروسية - الأوكرانية، عملت الدول الأوروبية بمعية الولايات المتحدة الأمريكية إلى البحث عن بديل للأراضي الأوكرانية التي كانت تنقل وتصدر الطاقة نحو أوروبا، لذلك زاد اهتمامها بدول آسيا الوسطى ودول جنوب القوقاز كمسارات بديلة لنقل الغاز والطاقة في ظل الصراع الروسي - الغربي والذي امتدت تأثيراته إلى وقف الإمدادات الطاقوية على الدول الغربية المستهلكة له، حيث ترى هذه الأخيرة أنه من شأن خطوط نقل الطاقة من جنوب آسيا الوسطى - المنطقة المهملة في الماضي والمهمة حاضرا من الناحية الجيوستراتيجية على صعيد النقل، الدفاع والطاقة - ومن بحر قزوين عبر جنوب القوقاز مرورًا بتركيا، أن ترفع ولو بعقلانية حذرة من قوة أسواق الطاقة وتدفقها في هذه المنطقة على حساب الدول الأخرى المنتجة للطاقة نحو أوروبا، ولأجل ضمان الإمدادات الطاقوية والتخلص من التحكم الروسي في إدارة ورقة الطاقة والضغط بها على القوى الغربية، أصبحت مسألة تأمين تدفق النفط والغاز من جنوب آسيا الوسطى وحوض بحر قزوين مرورًا بجنوب القوقاز إلى الغرب مسألة تتعلق بالأمن الوطني والذي ترعاه مختلف الإدارات الأمريكية المتعاقبة، فبحسب "روبرت كينيدي جونيور" أن ما يحدث في الوقت الراهن يعتبر مرحلة من مراحل حرب لمد خطوط أنابيب النفط والغاز التي بدأت سنة 1994، وذلك لتصديره عبر الأراضي التركية، أين قامت الولايات المتحدة الأمريكية برعاية وتحقيق أهم مشروع لها، عبر إنشاء خط "باكو - تبليسي - جيهان" لنقل الطاقة مستغلة الجغرافيا السياسية للدول الواقعة ضمنه، على الرغم من المعارضة الروسية الكبيرة له، لذلك تأتي هذه الدراسة في البحث عما إذا ستكون هذه المنطقة مسارات بديلة لنقل الطاقة نحو أوروبا.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية حول الامتيازات التي تقدمها الجغرافيا السياسية لدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز كمسارات بديلة لنقل الطاقة والإمداد الطاقوي نحو أوروبا إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا، وذلك من خلال تبيان امتيازات الجغرافيا السياسية لدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز ومؤشرات زيادة الاهتمام بها، وأهمية هذا الحزام الجغرافي في نقل الطاقة نحو أوروبا، كما تستعرض مدى إمكانية استدامة النقل الطاقوي في ظل الصراع بين روسيا والغرب على الطاقة.

إشكالية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في الإجابة على مجموعة التساؤلات المتعلقة أساسًا بموضوع "دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"، وذلك من خلال طرح الإشكالية الرئيسية التالية: إلى أي مدى يمكن أن تساهم خطوط نقل الطاقة من دول آسيا الوسطى مرورًا ببحر قزوين وجنوب القوقاز عبر الأراضي التركية كطرق بديلة في إمداد أوروبا بالطاقة بشكل مستدام؟

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

منهج البحث: تم الاعتماد في هذا البحث على المنهجين التاريخي والإحصائي، والمدخلين الجيوبوليتيكي والاقتصادي التي تخدم موضوع البحث وتساعد على الإجابة على إشكالية الموضوع المطروحة.

عناصر البحث: سيتم معالجة موضوع: " دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"، وذلك من خلال تناول النقاط التالية:

- 1 - امتيازات الجغرافيا السياسية لدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز ومؤشرات زيادة الاهتمام بها.
- 2 - أهمية الحزام الجغرافي الرابط بين دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز كمسار لنقل الطاقة نحو أوروبا.
- 3 - إمكانية نقل الطاقة من دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز إلى أوروبا بشكل مستدام.
- 1- امتيازات الجغرافيا السياسية لدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز ومؤشرات زيادة الاهتمام بها:

يتكون المجال الجغرافي لمنطقة آسيا الوسطى من خمس جمهوريات مستقلة عن روسيا الاتحادية، وهي كل من: كازاخستان، تركمنستان، أوزباكستان، طاجيكستان، وقيرغيزستان¹، حيث يتمتع هذا المجال بأهمية كبرى في الاستراتيجيات العالمية نظرا لموقعه الجغرافي المتميز، وموارده الطبيعية خاصة منها الطاقوية، الأمر الذي جعل منها منطقة اهتمام واستقطاب للقوى الدولية والإقليمية المتنافسة عليها²، وفي هذا الإطار كان قد رأى المنظر الجيوبوليتيكي "هارفورد جون ماكندر" (Halford John Mackinder) في نظريته "محور الارتكاز الجغرافي للتاريخ" (The Geographical pivot of History) أن الجزيرة العالمية لها منطقة ارتكاز وهي تقريبا المجال الجغرافي لإقليم آسيا الوسطى، والتي تشكل جزءا كبيرا مما يطلق عليه تسمية "قلب الأرض" (Heartland)، تلك المنطقة التي تمتد من نهر "الفلغا" إلى سيبيريا، هذا ويعد إقليم دول آسيا الوسطى من المناطق الاستراتيجية التي تقع ضمن النطاق الجغرافي والاستراتيجي لمنطقة أوروبا، حيث تمثل آسيا الوسطى فضلا عن منطقة بحر قزوين امتدادا جغرافيا طبيعيا لها أين تحظى بأهمية جيوبوليتيكية خاصة بالنظر لكونها تشكل حلقة الوصل بين قارتي أوروبا وآسيا، كما تمثل هذه المنطقة بمثابة الجسر الذي يربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب، إذ كانت ولا زال تمثل أهم طرق "الترانزيت" في العالم³، واتساقا لذلك يمكن ذكر أهم الاعتبارات التي قد أعطت أهمية لموقع منطقة دول آسيا الوسطى، حيث:

- 1 - تعد منطقة آسيا الوسطى قلب آسيا ومركز العالم، نظرا لقربها النسبي من الكتل الجغرافية والدوائر الجيوبوليتيكية، فهي تمثل على المستوى الآسيوي قلب آسيا ونقطة وصل بين أطراف آسيا جميعا، وهو ما يجعلها تتميز بمزايا اقتصادية وتجارية.
- 2 - يربط موقع المجال الجغرافي لإقليم آسيا الوسطى بين مختلف النظم الإقليمية في آسيا وأوروبا ومنطقة الشرق الأوسط، وهو ما يجعل دول هذا الإقليم تعد جسرا لتلك الجمهوريات نحو الاقتصاد العالمي وأيسر طريق في نقل صادراتها من النفط والغاز الطبيعي إلى الأسواق العالمية⁴.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

3 - إنها تشكل ممرا مهما لخطوط نقل وإمداد الطاقة القادمة من آسيا الوسطى وبحر قزوين وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط وأوروبا، إذ تطل دولها على بحر قزوين الغني بالنفط، كما تحتوي على مخزون كبير من النفط والغاز، حيث تأتي كازخستان في المرتبة الرابعة عالميا من حيث احتياطي الغاز الطبيعي.

4 - تعد سوقا تجارية مهمة، ونظرا لظروفها الاقتصادية بعد انفصالها عن الاتحاد السوفياتي ما جعلها مفتوحة على كامل الاستثمارات والمنتجات، فغناها بالمواد الأولية جعل منها محط استثمارات الشركات الأوروبية والصينية، حيث تحتوي على مخزون كبير من الفحم واليورانيوم والذهب والفضة وباقي المعادن الاستراتيجية، إذ تملك كازاخستان ربع احتياط العالم من اليورانيوم، كما تعد أوزبكستان ثالث أكبر منتج للقطن في العالم، وتملك رابع احتياطي عالمي من الذهب، وعاشر احتياطي عالمي من النحاس⁵، ووفقا لتوقعات التنمية الآسيوية (ADO) لشهر ديسمبر 2024، فقد ارتفعت نسبة النمو لمنطقة القوقاز وآسيا الوسطى إلى 5.2%، ويعود هذا الارتفاع إلى عوامل رئيسة ترتبط بتدفقات التحويلات المالية القوية، والاستثمار العام، وجهود التنويع الاقتصادي التي انتهجتها دول هذه المنطقة، ونتيجة لذلك ودعما للنمو الاقتصادي، أصبحت آسيا الوسطى لاعبا رئيسا في الاتصال الأوراسي، فمن بين المشروعات التي من المقرر أن ترفع دور المنطقة طريق النقل الدولي عبر بحر قزوين، المعروف باسم الممر الأوسط، الذي توسع استخدامه خلال عام 2024، حيث زادت حركة الشحن عبره بنسبة 68%، نظرا إلى أنه يختصر مدة العبور، إذ يمثل أقصر طريق بين غرب الصين وأوروبا، كما يوفر وصولا أسرع إلى جنوب القوقاز، وبحر قزوين، وآسيا الوسطى من خلال الموانئ في جورجيا وتركيا⁶.

وعلى إثر هذه الاعتبارات تكتسب آسيا الوسطى أهميتها لوقوعها في منطقة جد هامة، ففي هذا الإطار يرى الباحثين "محمد رضا جليلي" و"تيري كيلنر" في كتابهما "جيوستراتيجية آسيا الوسطى" بأن: "الموقع الجيوستراتيجي المميز الذي تحتله بتوسطها التجمع الأوراسي، وباعتبارها فناء خلفيا لروسيا الاتحادية ولقربها من الشرق الأوسط، وجنوب آسيا والصين، سيجعلها مهمة جدا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية"، أي أنها تنتظر إلى آسيا الوسطى كوسيلة توظيفها لتقوية وإضعاف الدول المجاورة وإلى إنشاء نظام إقليمي يتماشى وتطلعاتها ومصالحها في المنطقة⁷.

كما يعتبر إقليم جنوب القوقاز ذا أهمية استراتيجية هامة، إذ يتصل بموقع روسيا الاتحادية بشكل مباشر تقريبا من خلال جورجيا، أرمينيا وأذربيجان أين تطل جورجيا على البحر الأسود، ونظرا لهذا الموقع تمثل دول إقليم القوقاز الجنوبي المجال الحيوي وحلقة الوصل بين إقليم بحر قزوين وآسيا الوسطى من الشرق، والبحر الأسود وأوروبا من الغرب وروسيا شمالا⁸، وبذلك يربط موقع هذا الإقليم بين بحر قزوين والبحر الأسود⁹، ومن الخصائص الاقتصادية لإقليم جنوب القوقاز والقوقاز ككل، أنه يشكل منطقة جوار لبحر قزوين التي هي من المناطق الحيوية بما تملكه من ثروات أهمها النفط والغاز، وتأتي الأهمية الأكبر للمنطقة أن جزءا كبيرا فيه مخزون من النفط لم يستخرج بعد، فضلا عن أن خطوط نقل الطاقة تمر من بحر قزوين عبر دول الإقليم

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

وبشكل خاص عبر جورجيا، هذا ما جعل المنطقة عامة وجورجيا بشكل خاص أكثر ارتباطا بالسياسة الدولية، لذا أصبحت ثروة الطاقة من بحر قزوين أحد عناصر التأثير الجيوستراتيجي والجيو-اقتصادي¹⁰، ولذلك اجتذبت المنطقة المزيد من الاهتمام الدولي منذ منتصف تسعينيات القرن العشرين، ويرجع ذلك في الغالب إلى احتياطاتها الكبيرة من النفط والغاز الطبيعي كما سبق ذكره، ومن المتوقع أن تؤدي منطقة جنوب القوقاز دورا مهما في ضمان استمرارية واستقرار إمدادات الطاقة العالمية، وتنويع الإمدادات من مناطق أخرى غير منطقة الشرق الأوسط، ولذلك يأخذ في الاعتبار الموقع الجغرافي الاستراتيجي لجنوب القوقاز كرابط أيضا لموارد الطاقة في بحر قزوين وآسيا الوسطى بعيدا عن الأراضي الروسية نحو أوروبا¹¹.

واعتبارا لذلك يشكل إقليم جنوب القوقاز الحيوي نقطة الارتكاز الجيوستراتيجية حسب طروحات "زبغنيو بريجنسكي" (Zbigniew Brzezinski) في كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية" (The grand chessboard: American primacy and its geostrategic imperatives) والذي تشكل جورجيا مركزه، وهي التي لا تتوافر لديها مقومات اللاعب الاستراتيجي من حيث المشروع السياسي والمهارة اللازمة لتنفيذه، إلا أنها دولة مهمة بحسب موقعها الجغرافي الذي يمكن توظيفه كركيزة للاعب استراتيجي، كما قدر ذكر أيضا أهمية أذربيجان في المجال بقوله: "بإمكان أذربيجان المستقلة أن تكون ممرا لنفاذية الغرب إلى بحر قزوين الغني بموارد الطاقة وإلى آسيا الوسطى كذلك، وفي المقابل فإن أذربيجان غير المستقلة تعني أن آسيا الوسطى يمكن أن تغلق تماما بوجه العالم الخارجي فتصبح بذلك عرضة للضغوط الروسية من أجل إعادة التكامل"، وهذا ما دفع الولايات المتحدة الأمريكية نحو جورجيا من أجل حرمان روسيا من أحد ركائزها التي تبقيها دولة ذات تأثير، وذلك بالهيمنة على خطوط نقل الطاقة ومراكز الإنتاج¹²، ولذلك أصبحت دول جنوب القوقاز ذات أهمية كبيرة سواء بالنسبة لروسيا أو القوى الدولية الرئيسية كالاتحاد الأوروبي وتركيا، والتي لا يمكن حصر أهميتها بسبب موارد الطاقة المهمة في بحر قزوين، وإنما أيضا بسبب الدور المحتمل للمنطقة كممر بين أوروبا وآسيا والمصالح الأمنية للقوى ذات الصلة بها إقليميا ودوليا¹³.

ونتيجة للتنافس الدولي من أجل التواجد بهذه المنطقة واختلاف الدوافع بين القوى الكبرى، أثرت فكرة "اللعبة الكبرى الجديدة" (The New Great Game) وهو مصطلح سياسي يستعمل لوصف مفاهيم الجيوبوليتيك في أوراسيا الوسطى للتعبير عن القوى الكبرى والإقليمية من أجل النفوذ والسلطة والهيمنة والربح في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز - ما يهم في هذا المحور دول منطقة آسيا الوسطى وجنوب القوقاز بالتحديد - حيث أصبح هذا التعبير واسع الاستعمال في الأدبيات السياسية وكذا في الدوائر العسكرية والأمنية والدبلوماسية، وتطلق تسمية "اللعبة الكبرى الجديدة" كتعبير عن إطار للأحداث التي تتضمن الصين والهند وباكستان وأفغانستان ومؤخرا على جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة، وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح "اللعبة الكبرى الجديدة" بدأ استعماله في عام 1997 عندما نشر مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق "زبغنيو بريجنسكي"

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية" الذي نادى بنسخة للقرن الواحد والعشرين من اللعبة الكبرى القديمة، وقد عرض فيه مراكز النفوذ العالمية في أزمنة مختلفة من الشعوب التي تقطن أوراسيا، إذ يقدم أطروحته باعتبار أوروبا وآسيا قارة واحدة يسميها أوراسيا، وبالأخص القادمة من طرفها الغربي وإخضاعها بقية العالم لسيطرتها، وبذلك تحصل على مكانة خاصة، وتتمتع بامتيازات، ولأجل ذلك أصبحت منطقة آسيا الوسطى ذات أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في استراتيجيتها للهيمنة على ثروات هذه المنطقة، وخاصة النفط والغاز، وذلك وفق أربعة ركائز وهي¹⁴:

1 - تعدد مصادر النفط والطاقة عموماً، فبدلاً من الاعتماد بصفة أساسية على بترول منطقة الخليج العربي الذي يشكل حوالي ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط، أصبح من باب الأهمية الاعتماد على بترول منطقة آسيا الوسطى ذات المخزون الوفير أيضاً من هذا المورد.

2 - تعدد طرق النقل وخطوط الإمداد، فلا يكفي تعدد المصادر، بل يجب أيضاً تعدد المسارات لتقليل احتمال تعرضها للمخاطر، ومن هنا كان رفض الولايات المتحدة الأمريكية القاطع لمرور نفط منطقة آسيا الوسطى وقزوين عبر إيران رغم قلة تكاليفه، لأنه في النهاية سيصب في الخليج العربي ليمر بناقلاته مع بترول الخليج العربي عبر مضيق هرمز، فتزداد مخاطر تأثير أي صراعات أو تغيرات في الخليج العربي على إمدادات المصدرين معاً للسبب ذاته، ولذلك كان الرفض الأمريكي مرور نفط منطقة آسيا الوسطى والقزوين عبر البحر الأسود ومن ثم إلى مضيق البوسفور.

3 - الحصول على النفط بأسعار مناسبة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في أوروبا، وهو ما يوفره تعدد المصادر، وتعدد الطرق الآمنة.

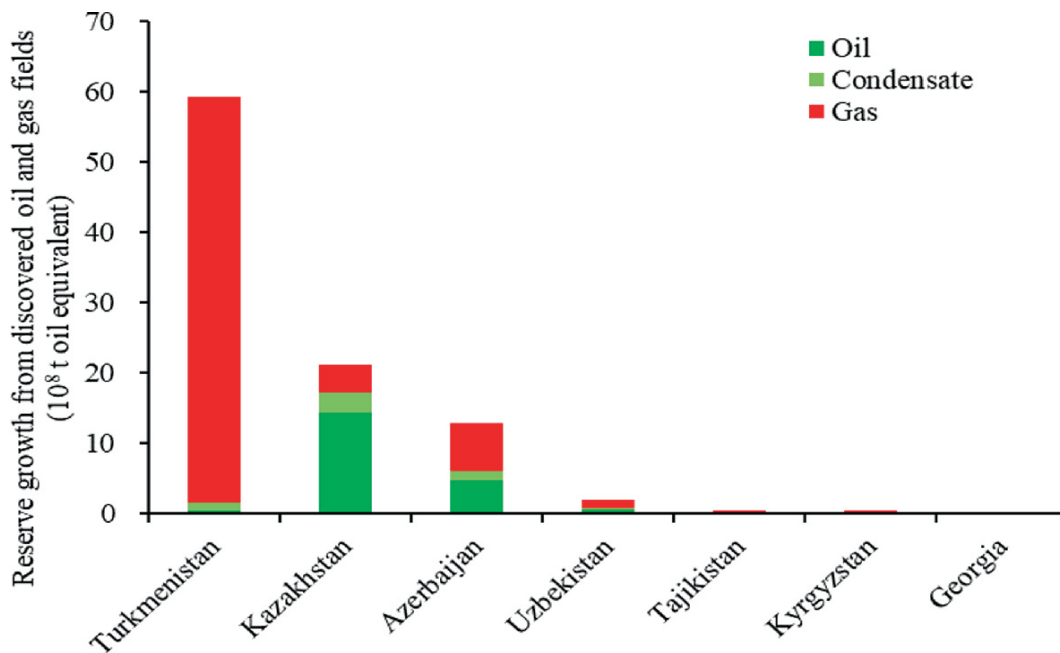
4 - حرمان أعداء الولايات المتحدة الأمريكية من تكنولوجيا النفط، حيث أضاف الكونغرس الأمريكي سنة 1997 بعداً رابعاً للاستراتيجية الأمريكية لصناعة النفط، وهو حرمان الدول المغضوب عليها من طرف الإدارات الأمريكية، وعلى رأسها روسيا الاتحادية وإيران من تطوير صناعاتها النفطية.

ومن ثم أصبحت احتياطات دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز من النفط والغاز ذات أهمية في أسواق الطاقة، أين تبلغ موارد النفط والغاز التقليدية القابلة للاستخراج في آسيا الوسطى ما نسبته 6.3% من إجمالي الموارد التقليدية القابلة للاستخراج في العالم، وتبلغ احتياطات النفط والغاز القابلة للاستخراج في آسيا الوسطى ما نسبته 5.2% من إجمالي الاحتياطات القابلة للاستخراج في العالم، يبلغ الإنتاج التراكمي للنفط والغاز في آسيا الوسطى ما نسبته 5.1% من إجمالي الإنتاج التراكمي للنفط والغاز في العالم، ويبلغ نمو الاحتياطي المتوقع من حقول النفط والغاز المكتشفة في آسيا الوسطى ما نسبته 8.6% من إجمالي نمو الاحتياطي المقدر في العالم، وتبلغ موارد النفط والغاز غير المكتشفة القابلة للاستخراج في آسيا الوسطى ما نسبته 7.5% من إجمالي الموارد غير المكتشفة القابلة للاستخراج في العالم¹⁵ حسب ما ورد في كتاب "موارد النفط والغاز

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

العالمية: الإمكانيات والتوزيع" (Global Oil and Gas Resources: Potential and Distribution) الصادر شهر أوت 2024، ويحتل نمو الاحتياطي المستقبلي في حقول النفط والغاز المكتشفة في تركمانستان المرتبة الأولى في آسيا الوسطى، حيث يمثل حوالي 61.7% من إجمالي نمو الاحتياطي في آسيا الوسطى ويتكون بشكل أساسي من الغاز، ويمثل نمو الاحتياطي المستقبلي من حقول النفط والغاز المكتشفة في كازاخستان نسبة 22% من إجمالي نمو الاحتياطي في آسيا الوسطى، وتجدر الإشارة إلى أن حقول النفط والغاز المكتشفة في هذه الأخيرة، يكون نمو احتياطي النفط المستقبلي فيها أكثر من نمو الغاز، والذي يمثل 67.7% من إجمالي نمو احتياطي النفط والغاز، وتحتل دول أخرى المرتبة التالية من حيث نمو الاحتياطي المستقبلي من حقول النفط والغاز المكتشفة (بترتيب تنازلي) على نحو: أذربيجان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وقيرغيزستان، وجورجيا¹⁶، وهو ما يوضحه الشكل التالي:

الشكل رقم (01): نمو الاحتياطي المستقبلي في حقول النفط والغاز المكتشفة في دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز



المصدر:

*Lirong Dou, Zhixin Wen, Zhaoming Wang, Global Oil and Gas Resources: Potential and Distribution, (Singapore: Springer Nature, August 2024), p. 176.

واعتبارا لما سبق ذكره؛ يشكل إقليم جنوب القوقاز الحيوي نقطة الارتكاز الجيوستراتيجية حسب طروحات "زبغنيو بريجنسكي" (Zbigniew Brzezinski) في كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية" (The grand chessboard: American primacy and its geostrategic imperatives) الذي صدر عام 1997 والذي تشكل جورجيا مركزه، وهي التي لا تتوافر لديها مقومات اللاعب الاستراتيجي من

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

حيث المشروع السياسي والمهارة اللازمة لتنفيذه، إلا أنها دولة مهمة بحسب موقعها الجغرافي الذي يمكن توظيفه كركيزة للاعب استراتيجي، كما قدر ذكر أيضا أهمية أذربيجان في المجال بقوله: "بإمكان أذربيجان المستقلة أن تكون ممرا لنفاذية الغرب إلى بحر قزوين الغني بموارد الطاقة وإلى آسيا الوسطى كذلك، وفي المقابل فإن أذربيجان غير المستقلة تعني أن آسيا الوسطى يمكن أن تغلق تماما بوجه العالم الخارجي فتصبح بذلك عرضة للضغوط الروسية من أجل إعادة التكامل"، وهذا ما دفع الولايات المتحدة الأمريكية نحو جورجيا من أجل حرمان روسيا من أحد ركناتها التي تبقىها دولة ذات تأثير، وذلك بالهيمنة على خطوط نقل الطاقة ومراكز الإنتاج¹⁷، ولذلك أصبحت دول جنوب القوقاز ذات أهمية كبيرة سواء بالنسبة لروسيا أو القوى الدولية الرئيسية كالاتحاد الأوروبي وتركيا، والتي لا يمكن حصر أهميتها بسبب موارد الطاقة المهمة في بحر قزوين، وإنما أيضا بسبب الدور المحتمل للمنطقة كمر بين أوروبا وآسيا والمصالح الأمنية للقوى ذات الصلة بها إقليميا ودوليا¹⁸.

ونتيجة للتنافس الدولي من أجل التواجد بهذه المنطقة واختلاف الدوافع بين القوى الكبرى، أثرت فكرة "اللعبة الكبرى الجديدة" (The New Great Game) وهو مصطلح سياسي يستعمل لوصف مفاهيم الجيوبوليتيك في أوراسيا الوسطى للتعبير عن القوى الكبرى والإقليمية من أجل النفوذ والسلطة والهيمنة والربح في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز - ما يهم في هذا المحور دول منطقة آسيا الوسطى بالتحديد - حيث أصبح هذا التعبير واسع الاستعمال في الأدبيات السياسية وكذا في الدوائر العسكرية والأمنية والدبلوماسية، وتطلق تسمية "اللعبة الكبرى الجديدة" كتعبير عن إطار للأحداث التي تتضمن الصين والهند وباكستان وأفغانستان ومؤخرا على جمهوريات آسيا الوسطى المستقلة، وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح "اللعبة الكبرى الجديدة" بدأ استعماله في عام 1997 عندما نشر مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق "زبغينيو بريجنسكي" كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكي وضروراته الجيوستراتيجية" الذي نادى بنسخة للقرن الواحد والعشرين من اللعبة الكبرى القديمة، وقد عرض فيه مراكز النفوذ العالمية في أزمنة مختلفة من الشعوب التي تقطن أوراسيا، إذ يقدم أطروحته باعتبار أوروبا وآسيا قارة واحدة يسميها أوراسيا، وبالأخص القادمة من طرفها الغربي وإخضاعها بقية العالم لسيطرتها، وبذلك تحصل على مكانة خاصة، وتتمتع بامتيازات، ولأجل ذلك أصبحت منطقة آسيا الوسطى ذات أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في استراتيجيتها للهيمنة على ثروات هذه المنطقة، وخاصة النفط والغاز، وذلك وفق أربعة ركائز وهي¹⁹:

1 - تعدد مصادر النفط والطاقة عموما، فبدلا من الاعتماد بصفة أساسية على بترول منطقة الخليج العربي الذي يشكل حوالي ثلثي الاحتياطي العالمي من النفط، أصبح من باب الأهمية الاعتماد على بترول منطقة آسيا الوسطى ذات المخزون الوفير أيضا من هذا المورد.

2 - تعدد طرق النقل وخطوط الإمداد، فلا يكفي تعدد المصادر، بل يجب أيضا تعدد المسارات لتقليل احتمال تعرضها للمخاطر، ومن هنا كان رفض الولايات المتحدة الأمريكية القاطع لمرور نفط منطقة آسيا الوسطى

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

وقزوين عبر إيران رغم قلة تكاليفه، لأنه في النهاية سيصب في الخليج العربي ليمر بناقلاته مع بترول الخليج العربي عبر مضيق هرمز، فتزداد مخاطر تأثير أي صراعات أو تغيرات في الخليج العربي على إمدادات المصدرين معاً للسبب ذاته، ولذلك كان الرفض الأمريكي مرور نفط منطقة آسيا الوسطى والقزوين عبر البحر الأسود ومن ثم إلى مضيق البوسفور.

3 - الحصول على النفط بأسعار مناسبة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في أوروبا، وهو ما يوفره تعدد المصادر، وتعدد الطرق الآمنة.

4 - حرمان أعداء الولايات المتحدة الأمريكية من تكنولوجيا النفط، حيث أضاف الكونغرس الأمريكي سنة 1997 بعداً رابعاً للاستراتيجية الأمريكية لصناعة النفط، وهو حرمان الدول المغضوب عليها من طرف الإدارات الأمريكية، وعلى رأسها روسيا الاتحادية وإيران من تطوير صناعاتها النفطية.

وانطلاقاً مما سبق أصبح هذا المجال الجغرافي الذي كان تابعا للفضاء السوفياتي السابق الذكر، مجالاً مكشوفاً للتنافس والصراع على المصالح بين روسيا من ناحية ودول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى²⁰، ولقد برزت أهمية احتواء دول منطقة آسيا الوسطى المستقلة عن الاتحاد السوفياتي، إذ أن السيطرة على هذه المنطقة من المنظور الأمريكي تشكل سيطرة على مفصل جغرافي حيوي في أحد أهم مناطق العالم وما حولها والسيطرة على ثرواتها، والجدير بالذكر هنا أن أغلب الساسة الأمريكيين منذ إدارة الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" (Bill Clinton) قد وجهوا عنايتهم وأنظار الإدارات الأمريكية اللاحقة لدول آسيا الوسطى ومنهم "ستروب تالبوت" (Strobe Talbott) نائب وزير الخارجية الأمريكي السابق في خطاب له في 22 جويلية 1997، ضمن أنشطة مركز آسيا الوسطى والقوقاز، اعتبر أن القيادة السياسية للمناطق المحورية في آسيا الوسطى لها مكانتها الأبرز في السياسة الأمريكية، حيث عرض الاستراتيجية الأمريكية للتواجد في المنطقة واختراقها والهيمنة عليها، وذلك من خلال التركيز على الأسس التالية²¹:

1 - تطوير الديمقراطية.

2 - خلق اقتصاد السوق الحرة.

3 - احتضان السلم والتعاون بين دول آسيا الوسطى.

4 - إدماج دول آسيا الوسطى في منظومة المجتمع الدولي.

كما أثار برنامج الاتحاد الأوروبي الشراكة الشرقية في الفضاءات المؤثرة في المصالح الرئيسية الروسية الذي أقر في قمة الاتحاد الأوروبي في العاصمة التشيكية "براغ" عام 2009 حفيظة القيادة الروسية، خاصة وأن هذا البرنامج يضم في مكوناته وعناصره التأسيسية كل من (أوكرانيا، بيلاروسيا، جورجيا، أذربيجان، وأرمينيا)، وهي دول تهبط أهمية استراتيجية لروسيا في فضاءها الموسع على نطاق واسع، ولعل الحرب الواقعة

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

في أوكرانيا منذ شهر فيفري 2022 تمثل تجليا واضحا للصراع الروسي - الأوروبي والغربي في الفضاء المذكور²².

2 - أهمية الحزام الجغرافي الرابط بين دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز كمسار لنقل الطاقة نحو أوروبا: لقد أصبحت القوى الكبرى تبحث عن مكامن تدعيم قوتها ونفوذها في النظام الدولي، وهو وجدته في عبر السيطرة على أسواق الطاقة، وعلى إثر ذلك تزايدت حدة الصراع الروسي - الأمريكي أين رأت روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي أن الصراع على التسلح قد أنهكهم وسط غياب عن عالم الطاقة الضرورية لأي دولة صناعية، فيما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تتحرك في مناطق النفط عبر عدة عقود مكنتهم من النمو والسيطرة على القرار السياسي الدولي من دون غريم، الأمر الذي جعل روسيا تتحرك باتجاه مكامن الطاقة (النفط والغاز)، واعتبارا لأن القسمة الدولية لا تحتل المنافسة في قطاعات النفط كثيرا، عملت على السعي إلى ما يشبه احتكار الغاز في مناطق انتاجه ونقله وتسويقه على نطاق واسع، فإما أن يأخذ الاتحاد الأوروبي بعوامل الاحتكار ويصبح تحت النفوذ الروسي طاقيًا، وإما أن يبحث عن مصادر متنوعة أخرى للغاز، ونتيجة لذلك بدأ صراع جديد حسب المخطط الأمريكي وهو حرب على روسيا أملا في الوصول إلى ثروات بحر قزوين والسيطرة على وسط آسيا²³، وإزاء هذا التنافس الدولي والأبعاد الجيوبوليتيكية للمنطقة، أصبحت خصائص الجغرافيا السياسية لها عامل مؤثر بشكل كبير في اتخاذ القرارات المتعلقة بالتخطيط والمساهمة في صنع القرار السياسي، فضلا عن الدور الذي أثرت به المشكلات الأمنية في التأثير أيضا على خطوط أنابيب الطاقة، وعلى إثر ذلك برزت منطقتي آسيا الوسطى وجنوب القوقاز المحيطة ببحر قزوين كواحدة من المحاور الجيوستراتيجية المهم في عالم اليوم والتي يؤمل لها أن تتحول وأن تكون أحد المناطق الجغرافية المميزة في وتيرة الصراع الدولي من أجل السيطرة عليها خلال القرن الحادي والعشرين بمنظور جغرافي²⁴.

ولأجل الحد من الهيمنة الروسية على سوق الطاقة، اندفعت دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية نحو شراكات في قطاع الطاقة في كل من أذربيجان وآسيا الوسطى، وهو ما يتعارض مع المصالح الروسية، حيث أعلن الاتحاد الأوروبي سابقا عزمه تقليص دور شركة "غاز بروم" الروسية في إمداد أوروبا بالغاز من خلال اللجوء إلى مصادر أخرى بديلة على غرار آسيا الوسطى والقوقاز، إذ تعد أذربيجان أقوى منافس لروسيا في سوق الطاقة، كما يعد مجالها الجغرافي حلقة وصل لنقل الغاز نحو أوروبا²⁵، وعلى إثر ذلك وسعيا للسيطرة على منابع النفط والغاز الطبيعي في الدول المشاطئة لبحر قزوين، بدا واضحا الرغبة الأمريكية بمعية القوى الغربية في السيطرة على خطوط الأنابيب وطرق تصدير الغاز الطبيعي من هذا المجال الجغرافي إلى أسواق الطاقة العالمية، حيث قامت بتنويع طرق تصدير الغاز الطبيعي فتبنت سياسة إنشاء خطوط متعددة الأطراف لنقل الطاقة منه عبر عدة دول حول منطقة بحر قزوين، وذلك من خلال تجسيد وثيقة البيت الأبيض لسنة 1994 بعنوان "استراتيجية الأمن القومي لإعادة الارتباط والتوسيع" (National Security

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

و قد جاءت هذه السياسة بهدف التحكم والحد من سيطرة كل من روسيا وإيران على موارد الطاقة في المنطقة²⁶، ولأجل ذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي وحلفائهم بإقامة مشاريع أنابيب نقل الطاقة من آسيا الوسطى مروراً ببحر قزوين ثم جنوب القوقاز ومنه إلى أوروبا، مع تقادي الأراضي الروسية أو الأوكرانية، وفيما يلي خمسة خطوط أنابيب لنقل الطاقة وفق ما تم الإشارة إليه من مسارات²⁷:

1 - خط أنابيب النفط باكو - تبليسي - جيهان (BTC) (Baku-Tbilisi-Ceyhan (BTC)): يعمل هذا اعتباراً من عام 2006، حيث ينقل النفط من أذربيجان عبر جورجيا إلى تركيا ثم عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا.

2 - خطوط أنابيب الغاز الطبيعي باكو - تبليسي - أرضروم (Baku-Tbilisi-Erzurum (BTE)): تعمل بالتوازي مع خط (BTC) وتنقل الغاز الطبيعي بشكل أساسي إلى جورجيا وتركيا، كما أن لديها القدرة على تزويد أوروبا بغاز بحر قزوين من خلال ممر الغاز الجنوبي المخطط له، كما ينقل هذا الخط الغاز من تركمانستان وكازاخستان.

3 - خط أنابيب عبر الأناضول (Trans-Anatolian Pipeline (TANAP)): وهو جزء من ممر الغاز الجنوبي وقد بدأ تشغيله في عام 2020، أين ينقل الغاز من بحر قزوين عبر تركيا إلى أوروبا.

4 - خط أنابيب النفط باكو - سوبسا (Baku-Supsa oil pipeline): ويمتد من محطة "سانغاتشال" (Sangachal) بالقرب من باكو إلى محطة "سوبسا" (Supsa) في جورجيا، وتنقل النفط من حقل أذربيجان - شيراج - جونيشلي (Azeri-Chirag-Guneshli) وتديرها شركة بريتيش بتروليوم (British Petroleum (BP)).

5 - خط أنابيب الغاز عبر بحر قزوين (مقترح) (Trans-Caspian Gas Pipeline (proposed)): هو خط أنابيب ينقل الغاز من تركمانستان إلى أذربيجان عبر بحر قزوين من خلال خط أنابيب تحت سطح البحر، ويعرف أيضاً باسم التوسع المستقبلي لخط أنابيب جنوب القوقاز (South Caucasus Pipeline Future Expansion (SCPFx)) نظراً لارتباطه بخط أنابيب غاز جنوب القوقاز.

لقد نجحت الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي في تنفيذ جزء من مخطط أطلق عليه "خطوط أنابيب الفيل الأبيض" للاستفادة من الثروات النفطية في بحر قزوين وحرمان روسيا وإيران من الحصول على جزء كبير من نفط هذا البحر، فكان أول المشاريع هو خط "باكو - تبليسي - جيهان" (BTC) وهي المدن التي تمثل مسار الأنابيب الذي يبلغ طوله 1700 كم، أين يقوم بنقل مليون برميل من النفط يومياً من بحر قزوين ابتداءً من أذربيجان ثم جورجيا إلى جنوب شرق تركيا على سواحل البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم إلى الأسواق الغربية متجنباً الأراضي الروسية والإيرانية والبحر الأسود، وذلك تجسيدا لأهداف سياسية تهدف إلى تجنب المرور عبر أي إقليم من أقاليم الاتحاد السوفياتي السابق الذي لا يحافظ على علاقات ودية مع

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

أذربيجان، وكذا تجنب دول الشرق الأوسط بسبب عدم الاستقرار، وتجنب أرمينيا بسبب سوء العلاقات مع أذربيجان من جهة وارتباطها بتحالف عسكري عبر "منظمة معاهدة الأمن الجماعي" بقيادة روسيا من جهة أخرى.²⁸

ففي شهر جويلية 2006 وبعد أكثر من عشر سنوات من المفاوضات المكثفة، تم افتتاح خط أنابيب النفط "باكو - تبليسي - جيهان" (BTC) رسميا على الرغم من ارتفاع تكاليف البناء والضغط السياسية، والذي يعد ثاني أطول خط أنابيب في العالم، وبعد مرور عام واحد، تم تشغيل خط مواز يسمى "خط أنابيب جنوب القوقاز" (the South Caucasus Pipeline (SCP)) لنقل الغاز من "باكو" (Baku) إلى "أرضروم" (Erzurum) في شرق تركيا، وتظهر غاية أذربيجان من إنجاز ممر الطاقة من الشرق إلى الغرب مع تركيا بمثابة معلم رئيسي في تطوير شراكتها مع أوروبا²⁹، ولقد كان لخط "باكو - تبليسي - جيهان" (BTC) تأثير على السياسة النفطية العالمية، فجنوب القوقاز الذي يعتبر الحديقة الخلفية بالنسبة لروسيا وحكرا لها، اكتسب المزيد من الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للقوى الكبرى الأخرى، ومن ثم أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية الأخرى أكثر انخراطا في شؤون هذه الدول الثلاث (أذربيجان - جورجيا - تركيا) التي من خلالها تمر الطاقة نحو الخارج، وقد أدى هذا التدخل والتورط في قضايا المنطقة إلى انتقادات روسية، كما تم استغلاله أيضا من قبل هذه الدول الثلاث نفسها لموازنة الهيمنة الاقتصادية والعسكرية من روسيا وإيران على المنطقة.³⁰

خريطة رقم (01): خط أنابيب باكو - تبليسي - جيهان (Baku-Tbilisi-Ceyhan pipeline (BTC))



المصدر:

* Sergey Sukhankin, "The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations", Russie.Eurasie.Visions, IFRI papers, N. 138, (February 2025), p. 09.

لقد مكن إنشاء خطوط أنابيب النفط والغاز عبر تركيا، أذربيجان من أن تصبح شريكا مهما في مجال الطاقة للاتحاد الأوروبي، ففي نوفمبر 2006، وقعت أذربيجان شراكة استراتيجية مع الاتحاد الأوروبي في مجال الطاقة، مما جعل هذا القطاع "أولوية مشتركة" في تعاونهما، واعتبار خط أنابيب "باكو - تبليسي -

جيهان" (BTC) باعتباره "طريقا جذابا اقتصاديا" لكميات كبيرة من نفط بحر قزوين للوصول إلى الأسواق الأوروبية، حيث غطت أذربيجان في عام 2017، أكثر من 4% من احتياجات الاتحاد الأوروبي من استيراد النفط، إضافة إلى ذلك، تم وضع إنتاج الغاز الأذربيجاني وعبوره إلى أسواق الاتحاد الأوروبي على رأس جدول الأعمال، ففي شهر جانفي 2011، دعم الطرفان تطوير ممر الغاز الجنوبي باعتباره هدفا استراتيجيا وحجر الأساس في زيادة أمن الطاقة الأوروبي، ونتيجة لذلك، تم تمديد خط أنابيب "خط أنابيب جنوب القوقاز" (SCP) إلى الحدود التركية - اليونانية في شهر جوان 2012، مع إنشاء "خط أنابيب الغاز الطبيعي عبر الأناضول" (the Trans-Anatolian Natural Gas Pipeline (tanap))، والذي تم افتتاحه في شهر جوان 2018، واتساقا مع ذلك، يهدف مشروع "خط الأنابيب عبر البحر الأدرياتيكي" (The Trans-Adriatic Pipeline (tap)) إلى إنشاء الرابط الأخير مع أوروبا من خلال الاتصال من أذربيجان إلى إيطاليا عبر تركيا واليونان وألبانيا والبحر الأدرياتيكي، أين بدأت أعمال البناء به شهر أفريل 2014 ومن المفترض أن تكتمل في عام 2020، وبفضل موقعها والبنية التحتية، يمكن لأذربيجان رفع مكانتها بشكل أكبر من خلال أن تصبح مركزا للعبور لصادرات النفط والغاز من كازاخستان وتركمانستان إلى أوروبا³¹.

خريطة رقم (02): خريطة خط أنابيب الغاز الطبيعي عبر الأناضول

(the Trans-Anatolian Natural Gas Pipeline (tanap))



المصدر:

*Robert M. Cutler, "the Trans-Caspian Gas Pipeline for Peace-building in the South Caucasus", 01 Febrery 2021, Policy Brief, Beyond the Horizon International Strategic Studies Group (BtH), accessed: (06/12/2024), see:

<https://tinylink.info/U50U>

وفي الوقت نفسه، شرعت جمهوريات آسيا الوسطى في إنشاء خط أنابيب متعدد الاتجاهات استراتيجية تهدف إلى "موازنة ناعمة" نفوذ روسيا مع تركيا وأوروبا والصين، ولقد شكلت هذه الاستراتيجية من خلال التطورات الاقتصادية والسياسية طويلة الأجل في المنطقة، إذ أدى الاعتماد الحصري على نظام خطوط الأنابيب الروسي إلى تقليل القدرة التفاوضية لقادة آسيا الوسطى - لا سيما عندما يتعلق الأمر بالتفاوض أسعار

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

المبيعات - ومن ثم كان لا بد من البحث في تنويع طرق نقل صادرات النفط والغاز، ولأجل ذلك أصبحت الطرق المصممة لتجاوز روسيا ركيزة لدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز تعمل وفق دبلوماسية خطوط الأنابيب³²، حيث تركز الأهمية الاستراتيجية لمنطقة حوض بحر قزوين كمصدر غني لموارد الطاقة على عدة ركائز رئيسية، فبادئ ذي بدء، تؤدي إمكانات النفط في الدول المجاورة دورا كبيرا، فحاليا تمتلك كازاخستان حوالي 30 مليار برميل من النفط في احتياطياتها، وتمتلك أذربيجان حوالي 7 مليار برميل، قبل "حرب الطاقة" التي شنتها روسيا ضد أوروبا في عام 2022، وهو ما أدى إلى تقويض أدوار كل من روسيا والاتحاد الأوروبي في أمن الطاقة الأوروبي بسبب الافتقار الواضح للتنسيق مع دول منطقة بحر قزوين واعتماد كازاخستان الاستراتيجي على روسيا فيما يتعلق بصادرات النفط، وفي الوقت الراهن تغير الوضع، فعلى سبيل المثال، زاد تدفق النفط من كازاخستان وتركمانستان إلى الاتحاد الأوروبي عبر أذربيجان، وهو ما يمثل 17.3% من إجمالي حجم النفط المنقول عبر خط أنابيب "باكو - تبليسي - جيهان" في شهر جانفي 2024، وقد أعربت مصادر روسية بالفعل عن قلقها بشأن قدرة كازاخستان على نقل المزيد من النفط بشكل متزايد عبر طرق بديلة، كما يشعر بعض الخبراء الروس بالقلق من أهداف "الأستانا" لمضاعفة صادرات النفط المنقولة عبر أذربيجان (خط أنابيب باكو-سوبسا) في غضون عامين³³.

ومن ثم يؤدي بحر قزوين والدول المطلة عليه دورا حاسما في العبور الإقليمي لإمدادات الغاز الطبيعي السائل، لا سيما لتركمانستان وأذربيجان، حيث تشعر روسيا بالقلق إزاء استعدادات تركمنستان لزيادة استخراج الغاز الطبيعي من حقل "غالكنيش" (the Galkynysh gas) بشكل كبير، وهذا من شأنه أن يمكن تركمانستان من تعزيز الصادرات ليس فقط إلى الصين وأوروبا ولكن إلى دول آسيا الوسطى الأخرى أيضا، وخاصة أوزبكستان وطاجيكستان، فمثل هذا التطور يمكن أن يقلل من دور روسيا في أمن الطاقة في آسيا الوسطى³⁴، علاوة على ذلك، أفادت التقارير أن كازاخستان وأذربيجان تجريان محادثات بشأن زيادة تعزيز تدفق النفط الكازاخستاني المستخرج إلى ما بعد خط "أنابيب باكو - سوبسا"، مع اعتبار خط "أنابيب باكو - سوبسا" (الذي تبلغ قدرته التشغيلية ما يصل إلى 5 ملايين طن من النفط)³⁵ والذي تم افتتاحه في شهر أفريل 1999³⁶، وإذا تم التوصل إلى اتفاق بخصوصه، فإن كازاخستان ستزيد بشكل كبير من تدفق نفطها إلى أوروبا، متجنبه روسيا، في حين ستعزز أذربيجان مكانتها كمركز عبور رئيسي لموارد النفط في بحر قزوين المتجهة إلى أوروبا، ومن جانبها، أعربت أذربيجان - بدعم من الشركاء والمستثمرين الأجانب - عن اهتمامها والتزامها بزيادة حصتها من الطاقة نحو أوروبا، فعلى سبيل المثال، أعلنت شركة "بي بي" عن إطلاق الإنتاج من منصة أذربيجان الوسطى الشرقية الجديدة التي تديرها الشركة والتي تبلغ تكلفتها 6 مليارات دولار من حقل "أذربيجان - تشيراج - جونشلي" (ACG) (the Azeri-Chirag-Gunashli (ACG)) في بحر قزوين، والتي من الممكن أن تعزز إنتاج النفط في الحقل بنسبة 25% أي ما حجه 100 ألف برميل يوميا، وعلى الرغم من امتلاك كازاخستان

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

للموارد الطبيعية والاهتمام الواضح من جانب النخب الحاكمة في كل من كازاخستان وأذربيجان بالاستفادة من المصلحة الاستراتيجية المتجددة للاتحاد الأوروبي في الحد بشكل كبير من الاعتماد على النفط الروسي، إلا أن هناك العديد من القضايا البنوية التي تعوق هذه الخطط³⁷، وتجدر الإشارة إلى أن الطيران الروسي قد قصف خط الأنابيب في 10 و 12 أوت 2008، ولذلك، أغلق خط "أنابيب باكو - سوبسا"، المعروف أيضا باسم خط أنابيب تصدير الطريق الغربي، في شهر أوت 2008 كإجراء احترازي بسبب الأنشطة العسكرية في جورجيا، إلا أنه قد أعيد افتتاحه فيما بعد شهر نوفمبر 2008³⁸.

خريطة رقم (03): خط أنابيب باكو- سوبسا (Baku-Supsa pipeline)

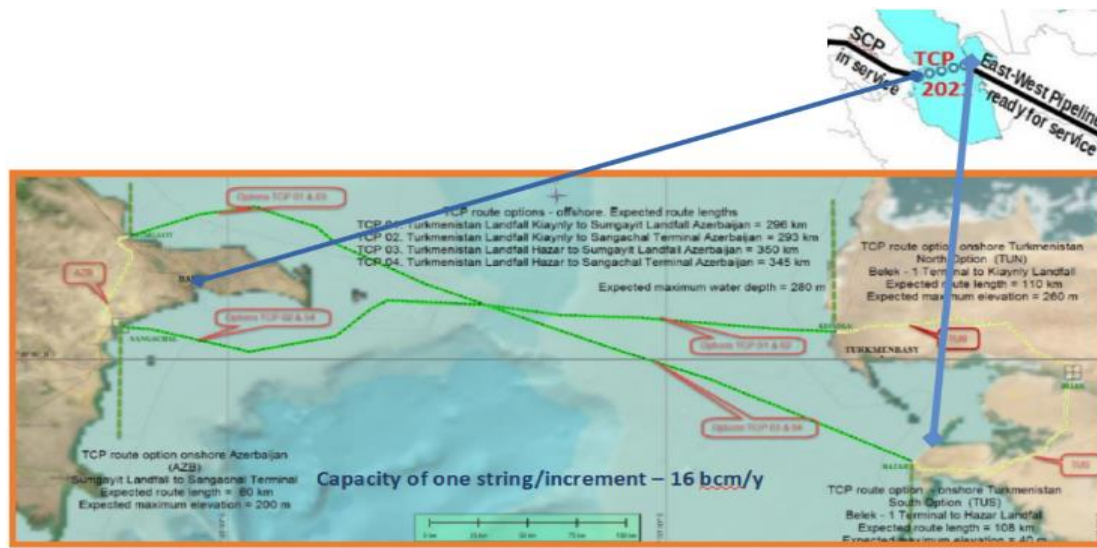


المصدر:

*Sergey Sukhankin, "The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations", Russie.Eurasie.Visions, IFRI papers, N. 138, (February 2025), p. 10.

كما يعمل خط أنابيب الغاز عبر بحر قزوين والذي ينقل الغاز من تركمانستان إلى أذربيجان عبر بحر قزوين والمعروف باسم التوسع المستقبلي لخط أنابيب جنوب القوقاز نظرا لارتباطه بخط أنابيب غاز جنوب القوقاز، حيث أصبح هناك اهتمام كبير بمشروع البنية التحتية لخط أنابيب الغاز عبر بحر قزوين منذ التوقيع في شهر أوت 2018 في "أكتاو" (Aktau) بكازاخستان على اتفاقية الوضع القانوني لبحر قزوين "معاهدة أكتاو" (Aktau Treaty)، إذ أدت نهاية حرب كاراباخ الثانية في عام 2020 في جنوب القوقاز إلى تسريع هذا الاهتمام، والذي تكثف بعد التوقيع على مذكرة تفاهم (MOU) بين أذربيجان وتركمانستان لتطوير حقل "دوستلوغ" (Dostlug) للنفط والغاز في منتصف بحر قزوين، والذي اختلف عليه لمدة 30 عاما³⁹، الأمر الذي يحث على التعاون بين دول المنطقة، ومع جيرانها والاتحاد الأوروبي، فبموجبه قد فُتحت إمكانات حقيقية للاتحاد الأوروبي للمساعدة في إقامة مشروع برنامج التعاون الفني لتعزيز السلام والأمن والتعاون الاقتصادي والتنمية في جنوب القوقاز، وفي الوقت نفسه، يمكن من خلاله تلبية متطلبات الطاقة في الاتحاد الأوروبي بأكثر الطرق اقتصادا، ودون انتهاك مبادئ الصفقة الخضراء الأوروبية⁴⁰.

خريطة رقم (04): خط الغاز عبر بحر قزوين



المصدر:

* Robert M. Cutler, "the Trans-Caspian Gas Pipeline for Peace-building in the South Caucasus", 01 February 2021, Policy Brief, Beyond the Horizon International Strategic Studies Group (BtH), accessed: (06/12/2024), see: <https://tinylink.info/U50U>

3 - إمكانية نقل الطاقة من دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز إلى أوروبا بشكل مستدام:

تسعى الدول الصناعية على غرار بقية دول العالم التي لا تملك احتياطات كبيرة لتلبية حاجياتها من الطاقة إلى تأمين نفسها بالطاقة بشكل دائم، ولأجل ذلك يعتمد التعريف التقليدي للأمن الطاقوي على فكرة تجنب أزمات الطاقة، أي نقص العرض الذي قد يتسبب في ارتفاع سريع في الأسعار بحيث يتهدد بسبب ذلك الأمن القومي والأمن الاقتصادي للدول، وعليه تركز هذه المقاربة على ضمان الإمداد بهدف دعم الأمن الطاقوي⁴¹ خاصة في فترات الأزمات والحروب التي تطل الدول المنتجة، وهذا تسعى إليه الدول الغربية المصنعة والمستهلكة للطاقة بشكل كبير والتي في أغلبها ليست من الدول المنتجة للطاقة، وفي ظل حالة التوتر والتصعيد بين روسيا وأوروبا بسبب الحرب الأوكرانية منذ شهر فيفري 2022، شكل ذلك تحدياً لاحتمال تعطل أو انقطاع إمدادات الغاز من روسيا إلى الاتحاد الأوروبي، خاصة وأنه وفقاً لوكالة الطاقة الدولية (IEA) بلغت صادرات الطاقة الروسية نحو 45% نحو دول الاتحاد الأوروبي في عام 2021⁴²، ولقد أدت حرب الروسية - الأوكرانية منذ شهر فيفري 2022 إلى خلق الحاجة إلى ممرات بديلة لنقل الطاقة، وهو ما أحدث جدلاً حول إيصال إمدادات الغاز عبر خطوط الأنابيب نحو أوروبا بشكل مستدام في ظل هذه الحرب⁴³، على الرغم من أن روسيا وفقاً من استراتيجية روسيا لعام 2020 تلتزم مع الشركاء الأوروبيين في توفير الطاقة والتي تنص على الحماية من الانقطاعات القصيرة الأجل في إمدادات النفط والغاز سواء لأسباب طبيعية أو سياسية⁴⁴، ففي كتابها الأخضر لعام 2000، دعت المفوضية الأوروبية إلى إيجاد مصادر بديلة للواردات من الطاقة

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

كمثل تلك الموجودة في منطقة بحر قزوين، حيث تم تقييم تكاليف الإنتاج والنقل باعتبارها "مجدية اقتصادياً"، والتي اعتبرت مهمة جداً لأوروبا، ونتيجة لذلك، حث الاتحاد الأوروبي الدول الأعضاء على تكثيف الترابط مع جمهوريات بحر قزوين⁴⁵.

فمن شأن زيادة إنتاج الطاقة في دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز خاصة منها المطلة على بحر قزوين أن يرفع ولو بعقلانية حذرة حسب الباحث "وسيم خليل قلعبجية" من قوة السوق النفطية في دول آسيا الوسطى ودول جنوب القوقاز على حساب مناطق أخرى من الإنتاج، في ظل وقوعها جغرافياً عند مفترق طرق التجارة الأوسع بين الصين وأوروبا⁴⁶، ولذلك تبدي روسيا معارضة لمختلف مشاريع نقل الطاقة عبر آسيا الوسطى وجنوب القوقاز التي تتجنب المسارات الروسية، حيث ترى في أن شبكة نقل الطاقة الروسية كافية لنقل الغاز والنفط من هذه المنطقة إلى الدول المستهلكة وخاصة منها الدول الأوروبية، على الرغم من أن دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز تصر على تنويع طرق المرور الطاقوي بهدف موازنة الاحتكار الروسي لضمان استقلالية ومرونة أكبر في مبادلاتها الطاقوية⁴⁷.

ومنه تسعى الدول الأوروبية إلى تقليل الاعتماد على الطاقة الروسية والبحث عن بدائل أخرى للتعويض عنها، وذلك لتعرضها لأزمات عدة قد أثرت في توفر كميات الغاز الكافية للأسواق الأوروبية، ففي أعقاب اندلاع الحرب الروسية - الأوكرانية عام 2022، تجلّى الاهتمام الاستراتيجي المتزايد للاتحاد الأوروبي بآسيا الوسطى في مناسبات عديدة، بما في ذلك، على وجه الخصوص، القمة الأولى بين الاتحاد الأوروبي وآسيا الوسطى بتاريخ 27 أكتوبر 2022 في "أستانا" (Astana) العاصمة الكازاخستانية، وتكييف خريطة الطريق المشتركة لتعميق العلاقات بين الاتحاد الأوروبي وآسيا الوسطى بتاريخ 23 أكتوبر 2023، حيث تشير هذه المبادرات وغيرها بوضوح إلى الاهتمام المتزايد من جانب أوروبا بالموارد الحيوية في آسيا الوسطى، بما في ذلك الطاقة المتجددة وغير المتجددة⁴⁸.

ففي قطاع النفط شهدت فترة ما بعد عام 2022 تطورات إيجابية في المشاركة المتزايدة للمنطقة مع الاتحاد الأوروبي في هذه المادة الحيوية، فقد زادت كازاخستان وهي الدولة الأكثر ثراءً بالنفط في المنطقة، من تدفق صادراتها منه إلى أوروبا عبر أراضي أذربيجان بنسبة 17.3% شهر جانفي 2023، عبر خط أنابيب "باكو - تبليسي - جيهان" (BTC) بطول 1768 كيلومتراً وبسعة 1.2 مليون برميل يومياً، والذي تم افتتاحه رسمياً كما تم الإشارة له سابقاً في عام 2006، وعلاوة على ذلك، فإن الاتفاقية الموقعة بين شركتي النفط الوطنية الأذربيجانية "سوكار" (SOCAR) و"كازمونا غاز" (KazMunayGas) الكازاخستانية تتيح نقل 1.5 مليون طن إضافية من النفط سنوياً⁴⁹، حيث يلتزم الطرفان بإجراء رحلة ناقلة بين مينائي "باكو" و"أكتاو" كل عام، وتجدر الإشارة أنه وعلى مدى العقدين الماضيين من القرن الواحد والعشرين، تم نقل النفط الخام الكازاخستاني بشكل أساسي عبر خط أنابيب اتحاد خطوط أنابيب بحر قزوين (CPC) إلى ميناء "توفوروسيسك"

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

(Novorossiysk) على البحر الأسود في روسيا، ومع ذلك، فقد دفع تهديد محكمة روسية بإغلاق خط أنابيب (CPC) في شهر جويلية 2022 الأمر الذي جعل الحكومة الكازاخستانية والمنتجين الأجانب الرئيسيين إلى البحث عن طرق بديلة⁵⁰، وفي هذا الإطار تنتظر النخب السياسية في أذربيجان وجورجيا إلى موارد الطاقة ونقلها إلى الأسواق العالمية باعتبارها عوامل رئيسية في تأمين استقلالهما وتنميتها الاقتصادية، أين تهتم أذربيجان بتصدير نفطها وغازها، الأمر الذي سيعود بالنفع أيضا على جورجيا نظرا لموقعها الفريد في المنطقة بفضل قدرتها على الوصول إلى البحر المفتوح⁵¹.

ولا تزال أذربيجان ملتزمة بتوسيع دورها في توريد ونقل الطاقة نحو دول أوروبا، حيث تم توضيح ذلك بوضوح في شهر جوان 2022 عندما وقعت أذربيجان والاتحاد الأوروبي مذكرة تفاهم بشأن شراكة استراتيجية في قطاع الطاقة، ووفقا لهذا الاتفاق، تلتزم أذربيجان بمضاعفة كمية الغاز الطبيعي المصدر إلى 20 مليار متر مكعب خلال السنوات الخمس المقبلة⁵²، فمنذ أن بدأ تشغيل خط أنابيب (BTC) في شهر جوان 2006 حتى نهاية جوان 2023، حمل ما مجموعه أكثر من 4.1 مليار برميل (أكثر من 546 مليون طن) من النفط الخام محملة على 5402 ناقلة وإرسالها إلى الأسواق العالمية، وقد تم نقل 4 مليارات برميل من صادرات النفط في 18 جانفي 2023⁵³، ففي الأرباع الثلاثة الأولى من العام 2023، تم رفع حوالي 165 مليون برميل (22 مليون طن) من النفط الخام المصدر من (BTC) في "جيهان" وتحميلها على 229 ناقلة⁵⁴، وخلال العام 2023، عرضت أذربيجان على كازاخستان نقل 5 مليون طن من النفط الكازاخستاني عبر خط أنابيب "باكو-سوبسا"، وإذا ما تم الاتفاق على ذلك، فمن المتوقع أن يتم نقل النفط من حقل "كاشاغان" (Kazakhstan) أحد أكبر حقول النفط المكتشفة في كازاخستان في العقود الأربعة الماضية عبر هذا الطريق، مما يعزز مكانة أذربيجان كمركز عبور رئيسي لموارد الطاقة في بحر قزوين الموجهة إلى الأسواق العالمية⁵⁵.

كما شهد تدفق النفط من كازاخستان وتركمانستان إلى الأسواق الأوروبية عبر الأراضي الأذربيجانية ارتفاعا طفيفا، وهو ما يمثل 17.3% من إجمالي حجم نقل النفط خلال شهر جانفي 2024، عبر خط (BTC)، أين ما مقداره أكثر من 430.000 طن من النفط مصدره هاتين الدولتين معا وفقا للبيانات الصادرة عن اللجنة الإحصائية الحكومية الأذربيجانية، ولقد نقل خط أنابيب (BTC) أكثر من 2.4 مليون طن من النفط الخام في شهر جانفي 2024، وهو ما يشكل 76% من إجمالي حجم نقل النفط عبر هذا الخط، وإلى جانب النفط الأذربيجاني، يتم نقل النفط الخام من تركمانستان وبعض كميات نفط "تينغيز" (Tengiz) الخام من كازاخستان عبر نفس خط الأنابيب⁵⁶، وفي ظل محاولات ضخ كميات أخرى من النفط وتدفقه للأسواق كما تم الإشارة إليه أعلاه ما جعل منظمة الدول المصدرة للنفط وشركاؤها (أوبك +) تعتمد على القيام بفرض الحد الأقصى لإنتاج النفط للأسواق، في اتفاق تم التوصل إليه في شهر جوان 2024⁵⁷.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

لقد ساهم الواقع الصعب الذي نشأ بعد شهر فيفري 2022 إلى حد كبير في إحياء فكرة خط أنابيب عبر بحر قزوين (راجع الخريطة رقم (04))، وهو خط أنابيب بحري مقترح بين "تركمناباشي" (Türkmenbaşy) بتركمانستان و"باكو" (Baku) الأذربيجانية، والقادر على نقل الغاز الطبيعي غير المكلف والوفير من تركمانستان وأذربيجان إلى المستخدمين النهائيين الأوروبيين⁵⁸، حيث كانت الخطوة الملموسة الأولى في هذا الاتجاه هي مذكرة تفاهم بشأن شراكة استراتيجية في مجال الطاقة بتاريخ 18 جويلية 2022، وقعها رئيس جمهورية أذربيجان "إلهام علييف" (Ilham Aliyev) ورئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لاين" (Ursula von der Leyen)، والتي بموجبها التزمت أذربيجان بمضاعفة صادراتها السنوية من الغاز الطبيعي إلى الاتحاد الأوروبي بمقدار 20 مليار متر مكعب سنويا بحلول عام 2027، وفي عام 2023، أبرمت تركمانستان، وهي منتج رئيسي آخر للغاز الطبيعي، أول صفقة لها على الإطلاق لتوريد الغاز الطبيعي إلى الاتحاد الأوروبي عبر البنية التحتية المجرية والتركية والأذربيجانية، وفي نفس العام 2023، وقعت المجر اتفاقية أخرى مع أذربيجان (سوكار) تنص على توريد 100 مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي، مما قد يؤدي إلى حصول المجر على ما يصل إلى 2 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي من أذربيجان سنويا، وعلى الرغم من الافتقار إلى التفاصيل واستمرار الخطاب الروسي حول "عدم الاستدامة الاقتصادية" للمبادرات المذكورة أعلاه، فإن الجانب الروسي وخبراء الطاقة المواليون للقيادة الروسية تبدي قلقا إزاء حقيقة أن دول آسيا الوسطى ودول جنوب القوقاز المطلة على بحر قزوين قد أصبحت بالفعل واحدة من أهم مصادر الغاز الطبيعي لأوروبا، كما أن هناك إمكانية لنقل الغاز الطبيعي المسال من تركمانستان إلى أذربيجان وتسليمه إلى أوروبا، إذ تزداد مخاوف روسيا بسبب الاهتمام الناشئ من جانب دول أجنبية أخرى (غير أعضاء في الاتحاد الأوروبي) بتطوير إمكانات الطاقة في منطقة بحر قزوين، فعلى سبيل المثال، وقعت "مجموعة موانئ أبو ظبي" التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة في شهر جانفي الثاني 2023، اتفاقية شراكة استراتيجية مع شركة "كاز مونا غاز" (KazMunayGas) الكازاخستانية لتطوير أسطول بحر قزوين والبنية التحتية الساحلية في كازاخستان لصادراتها من الطاقة، كما تهتم الشركة بتوسيع علاقات التعاون مع أذربيجان من حيث نقل التكنولوجيا والمعرفة والاستحواذ على حصص في قطاع الموارد الطبيعية في أذربيجان وعلى سبيل المثال "حقل غاز أبشيرون" (the Absheron gas)، ومن ثم فإن تواجد هذه الشركات الأجنبية وبخاصة منها غير الغربية واهتمامها بتطوير إمكانات الطاقة في منطقة بحر قزوين يفتح آفاقا إيجابية لدول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز، فمن ناحية، يمكن لهذه الدول ذات الإطالة على بحر قزوين الوصول إلى المعرفة والتكنولوجيات الضرورية لها في هذا المجال، وبالتالي تقليل اعتمادها على روسيا، ومن ناحية أخرى، قد يؤدي ظهور الشركات الأجنبية غير الغربية إلى زيادة صعوبة تهريب الجهات الفاعلة في بحر قزوين والضغط عليها، وهو ما يثير للاتحاد الأوروبي الاضطراب إلى التعامل من خلال وسطاء، مثل تركيا وجورجيا، عندما يتعلق الأمر بمعاملات الطاقة مع اللاعبين في بحر قزوين⁵⁹.

خريطة رقم (05): مشروع خط أنابيب عبر بحر قزوين Trans-Caspian pipeline project



المصدر:

*Sergey Sukhankin, "The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations", Russie.Eurasie.Visions, IFRI papers, N. 138, (February 2025), p. 12.

وبشكل عام، يمكن القول بأن المنطقة المطلة على بحر قزوين من دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز، استناداً إلى قدراتها الكبيرة من الطاقة وكذا نسبة إلى امتيازات الجغرافية السياسية التي أكسبتها أهمية كبيرة، قد تصبح تلك الدول قوة موجهة نحو الاتحاد الأوروبي من حيث الطاقة غير المتجددة والخضراء، ومع ذلك، فإن عدم اليقين الرئيسي يكمن في التساؤل عما إذا كان الاتحاد الأوروبي ينبغي له أن يسعى إلى تحقيق هذه النتيجة والالتزام باستثمارات مالية كبيرة والمحفوفة بالمخاطر لأسباب مختلفة⁶⁰، أين تتقرب أسواق الطاقة العالمية التوقف المُحتمل لآخر نقطة اتصال رئيسية بين شبكتي الغاز الروسية والأوروبية بحلول ديسمبر 2024؛ إذ من المقرر أن يتوقف ضخ الغاز الروسي عبر الأراضي الأوكرانية، بعد قرار أوكرانيا بعدم تجديد اتفاقية نقل الغاز الموقعة مع روسيا عام 2019؛ فمن شأن توقف هذا المسار أن يؤدي إلى حالة من عدم اليقين، بشكل مؤقت، في سوق الغاز الأوروبية، خاصة مع حلول فصل الشتاء؛ إذ يصل الطلب على الخام إلى ذروته؛ ومع ذلك، لن تكون التقلبات المُحتملة لأسعار الغاز في أوائل عام 2025، عند ذروتها، كما كان عليه الحال عقب تعليق إمدادات خطي أنابيب "يامال" (Yamal) و"نورد ستريم-1" (Nord Stream 1)، فقد تبنت الدول الأوروبية تدابير تعويضية لانقطاع معظم الإمدادات الروسية من الغاز بأسواق الاستهلاك الأوروبية الرئيسية، وتضمن ذلك الحصول على إمدادات إضافية من الغاز المُسال من موردين بالشرق الأوسط والولايات المتحدة الأمريكية، موازنة مع استيراد شحنات إضافية من الغاز المنقول عبر خطوط الأنابيب عبر النرويج

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

ومنطقة شمال إفريقيا، وهو ما جعل دول وسط وشرق أوروبا تدرس عدة خيارات متاحة لتعزيز استقرار الطاقة لديها، بعد توقف تدفقات الغاز الروسي عبر أوكرانيا، من بينها استخدام شبكة الغاز الأوروبية ومحطات استيراد الغاز المُسال بالدول المجاورة للحصول على إمدادات إضافية من الخام؛ بل حتى إن بعض الدول مثل المجر تُرحب باستقبال تدفقات إضافية من الغاز الروسي، لكن هذه المرة عبر خط أنابيب "ترك ستريم" (TurkStream)⁶¹.

الخاتمة:

سعت الدول الأوروبية إلى تقليل الاعتماد على الطاقة الروسية والبحث عن بدائل أخرى للتعويض عنها، وذلك لتعرضها لأزمات عدة قد أثرت في توفر كميات الغاز الكافية للأسواق الأوروبية، وهو ما جعلها تنتظر إلى منطقة آسيا الوسطى وجنوب القوقاز نظرا للامتيازات التي خولتها لها الجغرافيا السياسية، إلى أن تصبح مسارات بديلة لنقل الطاقة منها نحو دول الاتحاد الأوروبي، واتساقا لما سبق ذكره، وما يمكن الخروج بالنتائج التالية:

- 1 - يمكن القول بأنه لا يمكن استبعاد أن تتحول منطقة آسيا الوسطى وجنوب القوقاز خلال المرحلة القادمة إلى إحدى ساحات الصراع، أو ما يمكن تسميته بالحرب الباردة الجديدة، سواء بين روسيا، دول الاتحاد الأوروبي، الصين والولايات المتحدة الأمريكية، أو بين إيران وتركيا وروسيا.
- 2 - لقد أصبحت المخاطر المتأتمية من انقطاع ضخ الغاز الروسي عبر الأراضي الأوكرانية نحو الاتحاد الأوروبي أقل حدة، بخلاف ما كان عليه الأمر خلال العامين الأولين للحرب في أوكرانيا (2022 و 2023)؛ نتيجة لتوفر الإمدادات الطاقوية وتعدد خياراتها خاصة من دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز؛ وهي سياسة تعتمد إلى التقليل من حالة الانكشاف الطاقوي وتعزيز أمن الطاقة بها، مما جعل دول الاتحاد الأوروبي تعمل على التوسع في الاستثمار والتعاون في مجال الطاقات المتجددة والهيدروجين الأخضر خاصة مع أذربيجان.
- 3 - تحول تركيا إلى موزع للطاقة نحو أوروبا في ظل التعاون الرفيع المستوى الذي تشهده العلاقات الأذربيجانية - التركية.

الهوامش:

- 1 - عناد كاظم حسين النائلي، روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، أوت 2017)، ص. 203.
- 2 - سكيمة جعفر شهاب العبيدي، مشاريع الطاقة الأوراسية وآثارها الجيوسياسية، (عمان: شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2022)، ص. 25.
- 3 - عناد كاظم حسين النائلي، مرجع سابق، ص. 206.
- 4 - عناد كاظم حسين النائلي، مرجع سابق، ص ص. 206 - 207.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

- 5 - وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية: زمن الرئيس فلاديمير بوتين، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص. 96.
- 6 - غدي قنديل، "مستقبل آسيا الوسطى في 2025"، 05 جانفي 2025، مركز الدراسات العربية الأوراسية، تاريخ الاطلاع: (2025/02/15)، نقلا عن الرابط التالي: <https://urlc.net/VkWN>
- 7 - محمد رضا جليلي وتيري كيلنر، جيوستراتيجية آسيا الوسطى، (ترجمة: علي مقلد)، (القاهرة: منشورات دار الاستهلال للثقافة والعلوم القانونية، 2001)، ص. 88.
- 8 - عناد كاظم حسين النائلي، مرجع سابق، ص ص. 216 - 217.
- 9 - سكيمة جعفر شهاب العبيدي، مرجع سابق، ص. 26.
- 10 - عناد كاظم حسين النائلي، مرجع سابق، ص. 219.
- 11 - Alexander Rondeli, "the South Caucasus: Pipeline Politics and Regional Economic Interests", in Report: The South Caucasus, JSTOR, NATO Defense College, (2004), p. 43.
- 12 - عناد كاظم حسين النائلي، مرجع سابق، ص. 222.
- 13 - Alexander Rondeli, Op. cit, p p. 43 - 44.
- 14 - وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، جوان 2019)، ص ص. 506 - 508.
- 15 - Lirong Dou, Zhixin Wen, Zhaoming Wang, Global Oil and Gas Resources: Potential and Distribution, (Singapore: Springer Nature, August 2024), p. 171.
- 16 - Lirong Dou, Zhixin Wen, Zhaoming Wang, Op. cit, p. 175.
- 17 - عناد كاظم حسين النائلي، مرجع سابق، ص. 222.
- 18 - Alexander Rondeli, Op. cit, p p. 43 - 44.
- 19 - وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، جوان 2019)، ص ص. 506 - 508.
- 20 - فراس عباس هاشم، استعصاءات الجغرافية: روسيا واختراق المخيال الجيوبوليتيكي لمساحة الفضاءات العالمية، (عمان: دار أكاديميون للنشر والتوزيع، 2022)، ص. 120.
- 21 - وسيم خليل قلعجية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ص. 508 - 509.
- 22 - فراس عباس هاشم، مرجع سابق، ص. 120.
- 23 - خليدة كعسيس خلاصي، "الاستراتيجية الروسية في عهد بوتين: أمن الطاقة، تنافس من نوع جديد"، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، م. 02، ع. 04، (ديسمبر 2015)، ص. 51.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

- 24 - وسيم خليل قلعبجية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص. 511.
- 25 - فراس عباس هاشم، مرجع سابق، ص. 111.
- 26 - وسيم خليل قلعبجية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص. 521.
- 27 - Siri Neset and Mustafa Aydın, "Changed Dynamics After the Second Karabakh War", in: Changing Geopolitics of the South Caucasus after the Second Karabakh War: Prospect for Regional Cooperation and/or Rivalry, (Siri Neset and Authors), CMI Report, the Norwegian Ministry of Foreign Affairs, N. 04, (September 2023), p p. 16 – 17.
- 28 - خليفة كعسيس خلاصي، مرجع سابق، ص. 51.
- 29 - Annie Jafalian, "Globalization through Oil and Gas: Central Asia's Predicament", la-melaua – revista de ciencias sociales, vol.13, n.47, (October 2020), p. 380.
- 30 - خليفة كعسيس خلاصي، مرجع سابق، ص. 51.
- 31 - Annie Jafalian, Op, cit, p. 380.
- 32 - Annie Jafalian, Op, cit, p. 379.
- 33 - Sergey Sukhankin, Transformation of Caspian Sea Region Into Energy Hub Gaining Momentum (Part One), Op, cit.
- 34 - Sergey Sukhankin, Transformation of Caspian Sea Region Into Energy Hub Gaining Momentum (Part One), Op, cit.
- 35 - Sergey Sukhankin, "The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations", Russie.Eurasie.Visions, IFRI papers, N. 138, (February 2025), p. 10.
- 36 - "Supsa Terminal and Pipeline, Georgia", 22 January 2001, Offshore Technology, accessed: (06/12/2024), see: <https://urlc.net/SwLj>
- 37 - Sergey Sukhankin, "The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations", Russie.Eurasie.Visions, IFRI papers, N. 138, (February 2025), p. 11.
- 38 - Supsa Terminal and Pipeline, Georgia, Op. cit.
- 39 - Robert M. Cutler, "the Trans-Caspian Gas Pipeline for Peace-building in the South Caucasus", 01 February 2021, Policy Brief, Beyond the Horizon International Strategic Studies Group (BtH), accessed: (06/12/2024), see: <https://tinylink.info/U50U>
- 40 - Robert M. Cutler, Op. Cit.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

- 41 - العنود آل خليفة، "الأمن الطاقوي ومشروعات توليد الطاقة النووية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية"، في: الأمن القومي العربي وتحديات الأمن الإقليمي، (مروان قبلان محررا)، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ماي 2023)، ص. 367.
- 42 - مصطفى شلش، خطوط الغاز الروسية: الأبعاد الجيوسياسية والاقتصادية، (القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر 2023)، ص. 189.
- 43 - "ما سر الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لآسيا الوسطى؟"، 12 مارس 2024، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، تاريخ الاطلاع: (2024/12/05)، نقلا عن الرابط التالي: <https://urlc.net/UTqF>
- 44 - مصطفى شلش، مرجع سابق، ص. 102.
- 45 - Annie Jafalian, Op. cit, p. 377.
- 46 - وسيم خليل قلعبية، روسيا الأوراسية كقوة عظمى جيوبوليتيك الصراع وديبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص. 564.
- 47 - محمد صادق إسماعيل، التجربة الروسية: بوتين واستراتيجية الأمن القومي، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2023)، ص ص. 144 - 145.
- 48 - Sergey Sukhankin, "The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations", Russie.Eurasie.Visions, IFRI papers, N. 138, (February 2025), p. 08.
- 49 - Sergey Sukhankin, The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations, Op. cit, p p. 8 - 9.
- 50 - Vusala Abbasova, "Oil Flow from Kazakhstan, Turkmenistan via Azerbaijan Rises", 22 February 2024, Caspian news, accessed: (06/12/2024), see: <https://urlc.net/Sx1N>
- 51 - Alexander Rondeli, Op. cit, p. 50.
- 52 - Sergey Sukhankin, "Transformation of Caspian Sea Region Into Energy Hub Gaining Momentum (Part One)", Eurasia Daily Monitor, accessed: (05/03/2025), see: <https://urlc.net/VcBl>
- 53 - "Ceyhan terminal", Xazar Centre, Baku, Azerbaijan, accessed: (22/02/2025), see: <https://urlc.net/UXUj>
- 54 - Ceyhan terminal, Op. cit.
- 55 - Vusala Abbasova, Op. cit.
- 56 - Vusala Abbasova, Op. cit.
- 57 - Caucasus and Central Asia, Asian Development Outlook, Asian Development Outlook (September 2024), Asian Development Bank, Manila, Philippines, p. 94.

"دول آسيا الوسطى وجنوب القوقاز وإمكانية نقل الطاقة نحو أوروبا كمسارات بديلة للإمداد إثر ارتدادات الحرب في أوكرانيا"

58 – Sergey Sukhankin, The Caspian Sea as an Emerging Energy Hub: Potentials and Limitations, Op. cit, p. 12.

59 – Sergey Sukhankin, Op. cit, p p. 12 – 13.

60 – Sergey Sukhankin, Op. cit, p. 27.

61 – إبراهيم الغيطاني، "النموذج النمساوي: خيارات أوروبا بعد الانقطاع الوشيك للغاز الروسي عبر أوكرانيا"، 18 أكتوبر 2024، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، تاريخ الاطلاع: (2024/12/06)، نقلا عن الرابط التالي: <https://urlc.net/VE3W>